المحاضرة رقم 16 :

تاريخ دول المدن الفينيقية

كان الفينيقيّون أول أمة بحرية في التاريخ، أخذوا يجوبون البحار وينشئون الطرق البحرية بين الشرق والغرب، كما أنشأوا المستعمرات ونشروا حضاراتهم وحضارات غيرهم من مختلف الجهات، ولذلك كانوا من أشهر شعوب العالم القديم، فقد كانوا بحارة مهرة، وتجارًا ومكتشفين، وأقاموا مستعمرات على امتداد حوض البحر المتوسط [1].

1 . أصل الفينيقيين :

كل ما تمّ مُناقشته عن أصل الفينيقيين جاء في شكل افتراضات وتخمينات اعتمدت على كتابات الكلاسيكيين ، ومن ذلك أن أبو التاريخ "هيرودوت " قد روى في الكتاب السابع من "تاريخه " بعد زيارته الى مدينة "صور" Tyr حوالي 450 ق.م قائلاً :""***وهم يرون أنهم كانوا يقطنون شواطئ البحر الأرتيري (البحر الأحمر) ومنها قدموا إلى سوريا*** "" وقد تبنى كثير من الأثريين الغربيين فرضية رواية "هيرودوت " ومنهم الفرنسي "رينيه ديسو" (1868-1958) الذي أورد أنّ المخلفات الأثرية في "أوغاريت " (رأس شمرا) تدعم هذا التوجه ، وحسب "ديسو" فإنّ نصوص رأس شمرا تُثبت أنّ أسلاف الفينيقيين كانوا مقيمين في منطقة النقب"* حول خلجان السويس و العقبة ومنها الى سواحل البحر المتوسط و استقروا هناك . [2]

وفي هذا الصدد ذكر لنا الجغرافي الاغريقي "سترابون"Strabon (63 أو 64 ق.م - 24م) "" ***إنّ مقابر سكان الخليج الفارسي تتشابه ومقابر الفينيقيين، ويذكرون أنّ أبناء جزائرهم إنّما هي أسماء فينيقية وأنّ في مدنهم هياكل تشبه الهياكل الفينيقية*** ""[3] وهذا القول يدعمه المؤرخ اللاتيني "جوستين " Justin حين قال[4]: "" ***إنّ الأمة السورية أسسها الفينيقيون الذين تركوا بلادهم بعد هزات أرضية ، فأقاموا أولاً على ضفاف البحيرة الأشورية*** Ad Syriam Stagnum . لعله يقصد البحر الميّت . ***، ثم تركوها الى شواطئ المتوسط حيث بنوا مدينة دعوها "صيدون"*** "" ومن الأدلة التي تدعم هذه النظرية، أسماء في شرق الجزيرة العربية تحمل نفس أسماء المدن التي

---

[1] ـ محمد أبو المحاسن عصفور ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، دار النهضة العربية ، بيروت، 1984،، ص ص 278.276 ـ بتصرف ـ

* ـ يُفهم أن الكنعانيين و الفينيقيين قد عاشوا ردحاً من الزمن في صحراء النقب جنوبي فلسطين، إذ قاموا بتخطيط المدن في تلك المنطقة ومن ذلك مدينتي "بئر السبع" و "أشدود " . قبل أن يرتحلوا عبر الساحل السوري الى فينيقيا . (أنظر : ماجد أحمد علي الحمداني ، "الفينيقيون في شرق و غرب المتوسط "، مجلة دراسات في التاريخ و الآثار ، المجلد 2017، العدد 57 ، 2017، (ص ص. 480-524)، ص483.)

[2] - René Dussaud, Introduction à l'histoire des religions (Bibliothèque historique des religions). Paris, Ernest Leroux, 1914 ; 1 vol., p23.

[3] - Strabon , Géographie, trad : Amede Tradieu ,Ed ; Hachette, Paris . 1894,XVI, IV,27 .

[4] - Justin, histoire universelle. , trad ; J Pierot et E Boitard , tome II ,Ed ; Pankouk, Paris, 1833. L,XVIII, III.

أنشأها الفينيقيون على الساحل السوري. مثل (صور) على ساحل عُمان، و(جُبَيْل) وجزيرة أرواد (ارواد وهي الاسم القديم لجزيرة المحرّق في البحرين.وجزيرة »تاروت بالقطيف التي تقارب اسم مدينة بيروت بلبنان وقد عثر بـ"تاروت" و"القطيف "على مخلفات أثرية كثيرة. أما المؤرخ الكبير" جان جاك بيربي" فقال عن أصلهم[5]: ""**ان الفينيقيين انطلقوا من البحرين إلى البصرة سالكين طريق الهلال الخصيب إلى الساحل الشامي حيث بنوا مدنهم وأنشأوا حضارتهم الرفيعة التي نشروها في البحر الأبيض المتوسط** "" .

أما عن التأريخ **لبداية تواجد الفينيقيين** في الساحل السوري وبخاصة في مناطق السهول القليلة، فنجد عدة مؤرخين معاصرين و من بينهم "محمد بيومي مهران" الذي يُرجع ذلك الى القرن 28 ق.م[6]، وعن تسميتهم بالفنيقيين و عن بلادهم بـ" **فينيقيا**"Phoĩnix، فمن المعروف أن الإغريق*هم الذين اعتمدوا هذا المصطلح (رمز أولا إلى الصباغ الأرجواني) للحديث عن شعوب الساحل الشرقي من البحر المتوسط وذلك منذ القرن السابع قبل الميلاد أو قبل ذلك [7] ، وعن مصطلح "الكنعانيين" فنجده خصوصا في الكتاب المقدس بينما يغيب في كتابات اليونان و الرومان [8]. ويُذكر أن أرض الفينيقيين أو "فينيقيا" شملت هذه المنطقة العديد من المدن المشهورة مثل: "أوغاريت" (رأس شمرا)، "أرواد"، "جُبيل" (بيبلوس)، باريتوس (بيروت)، صيدا (صيدون)، صورTyr وعكّا. أما إلى الداخل فامتدت الحدود إلى البقاع، و كانت "بعلبك" (هليوبوليس على عهد الرومان) من اشهر هذه المواقع . (**أنظر الشكل 31**)

2 . المدن الفينيقية : أسّس الفينيقيون عدّة مدن على طول الساحل السوري ، و التي يمكن تناولها عبر التركيز على خمسة مدن رئيسة مؤثرّة في فينيقيا و حضارة العالم القديم وهي :

***. أوغاريت** : تقع في شمال غرب سوريا الحالية في أقصى شمال فينيقيا ، أزهي عهودها كانت بين القرنين 16 و 13 ق.م ، اخترع ساكنتها الخط الأبجدي المعتمد على الخط المسماري منذ القرن 16 ق.م ، وهي أول المدن الفينيقية تجارة مع الإيجيين والبحر الأسود ، عُرفت كمنافس تجاري للإيجيين ، كانت محطة مهمة في التجارة الدولية نحو الشمال و الشرق ، خضعت للسيطرة المصرية خلال القرن 15 و 14 ق.م ، ثم تحت السيطرة الحثية (1350 ق.م) ، كانت لها مستوطنات في قبرص وجزيرة رودس وساحل غرب أسيا الصغرى ، تعرضت لغزو شعوب البحر

[5] ـ جان جاك بيربي ، الخليج العربي ، المكتب التجاري للطباعة و التوزيع و النشر ، بيروت ، 1959 ، ص 169.

[6] ـ محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية. تاريخ لبنان القديم، ص 50 .

* ـ هناك **نظرية أخرى** تتعلق بتسمية الفينيقيين و التي تنسبهم الى "ح . م . ر " أي اللون الأحمر القريب من الأرجواني ، ومصدر هذه التسمية يستأنس عن نزوح شعوب من الجزء السفلي من شبه الجزيرة العربية، المعروفين بالحميريين أو "الشعب الأحمر"، الذين استقروا على شريط ضيق من الساحل بين البحر الأبيض المتوسط وجبال لبنان، و في ذات السياق يرى البعض أنّ أصل هذه الكلمة في التسمية المصرية «فنخو» التي ترد في وثائق الدولة القديمة وكتاباتها للدلالة على شعب كان يسكن أحد الأقاليم السورية . ـ المؤلف ـ

[7] - Cf. A. Gras P.Rouillard & J. Teixidor, *L'univers Phénicien*, Arthaud, Paris, 1989, p.27.

[8] ـ محمد أبو المحاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، ص13.

حوالي 1180 ق.م ، ومنذ القرن 10 ق.م تراجعت مكانتها و هيمنتها على قبرص و غيرها لصالح الإغريق ، ضمت عمارتها نفائس منها القصر الشمالي و الميناء الأبيض .

*. **أرواد** : معظم المعلومات عنها غير فينيقية مارس سكانها الزراعة منذ العهود المبكرة ، بنيت على حيين أي في البر الرئيسي و في جزيرة مقابلة ، كانت علاقتها بدول الجوار سيئة لذلك تعرضت للتدمير عدة مرات على أيدي الحثيين و شعوب البحر ثم الأشوريين عهد "تجلالت بلاسر الأول "حوالي 1100 ق.م [9]، ذكرتها الكتابات اليهودية و وصفت بحارتها و سفنها تناقصت مكانتها منذ بداية الألف الأول ق.م . حين غزو الإسكندر كانت من المدن التي فتحت أبوابها وساعدته في حصار مدينة "صور".

*. **جُبيل** : "بيبلوس" هي أقدم مدن الفينيقيين ذكراً ، تقع في وسط "فينيقيا" ، كشفت البعثات الأثرية فيها على مخلفات أثرية مصرية قديمة تعود لعهد الأسرتين الثالثة و السادسة الفرعونية ، تعرضت كغيرها من مدن الفينيقيين لغزو أمم الشرق الأدنى مثل الحثيين و الأشوريين ، كانت تربطها علاقات نموذجية مع قدماء المصريين و كانت تحتكر تجارتهم معها ، تأثر حكامها بالديانة و العمارة المصرية ، ومن ذلك تحنيط حكامهم ومعبد الإله "أمون " في جبيل ، إضافة الى العثور على أواني قرابين تحمل أسماء فراعنة مثل "خع سخموي" من الأسرة الثانية و"خوفو" و "منكاورع" من الأسرة الرابعة ، كانت لها مراكز تجارية في" دلتا" مصر و مخازن في مدينة "منفيس" .

تراجعت مكانة المدينة مع تزايد مكانة مدينتي "أوغاريت" و "صيدا " خلال الألف الثاني ق.م ، ودلّ "حجر بالرمو" على تجارة باكرة بين مصر و "جبيل " لتجارة خشب الأرز عهد "سنفرو" رأس الأسرة الرابعة، وفي عهد الدولة الحديثة دخلت "جبيل " تحت النفوذ المصري حتى الأسرة العشرين ، و بعد غزو شعوب البحر تمتعت "جبيل" بالاستقلال ثم خضعت للأشوريين ، في القرن العاشر قبل الميلاد دلت المخلفات الأثرية على أسماء عدة ملوك للمدينة منهم "أحيرام " حوالي 1000 ق.م و " ايتو بعل " 980 ق.م و "أبي بعل " في 940 ق.م .[10]

*. **صيدا** : "صيدون" ، أقيمت على ساحل أكثر اتساعا من غيرها من المدن الفينيقية ، تزعمت العالم الفينيقي خلال الألف الثاني ، اشتهرت بممارسة سكانها للصيد و استخراج الصدف ، هيمنت على مدينة "صور" في عدة فترات ، كان لها السبق في محاولات الإبحار نحو غرب المتوسط وتأسيس المستوطنات الباكرة . بلغت مكانة مهمة جعلت الكتاب المقدس يُسمي الفينيقيين باسم "الصيدويين" ، تعرضت لسيطرة الأشوريين ، ثم دمرها الملك سنحاريب الأشوري عام 677 ق.م ، بعد تمرد ملكها "عبد ملكوتي" ، كما خضعت كغيرها من المدن الفينيقية لغزو الفرس ، و أعانتهم في حربهم ضد اليونان .

[9] ـ محمد أبو المحاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص 28.
[10] ـ محمد أبو المحاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص 35 .

*. **صور**: أكثر مدن الفينيقيين ذكراً في المصادر التاريخية المقدسة و الكلاسيكية و الأثرية ، وأكثرها تفاعلاً مع أحداث الشرق الأدنى القديم، تأسست على جزيرة صغيرة قبالة الشاطئ منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، كانت تتبع مصر في "عصر العمارنة" ، ازدهرت مكانتها وتزعمت فينيقيا منذ بداية الألف الأول ق.م بعد غزو شعوب البحر ، حتى كانت أقوى المدن الفينيقية ثروة و تجارة ، اشتهرت "صور" بنزعتها الحربية و مقاومتها لكل الغُزاة ومن ذلك ثورتها ضد الأشوريين أعوام 701 -672 -667 ق.م ضد الأشوريين ،سيطر عليها "نبوخذ نصر الثاني " الكلداني عام 573 ق.م ، اجتاحها الفرس الميديون عام 539 ق.م ، حاصرها الإسكندر الأكبر لمدة سبعة أشهر عام 332 ق. م ، ارتبط باسمها تأسيس عدة مستوطنات في المتوسط و الوصال الى مناطق غير معروفة في تلك الفترة .، من ملوكها "أبي ملك " في 1365 ق.م و "أحيرام "و"بعل أستار " (935-919 ق.م) و ابنه "بعل عشتروت " (918-910 ق.م) ثم "أيتو بعل "(887 – 865 ق.م) الذي عرف بملك "صور و صيدا".

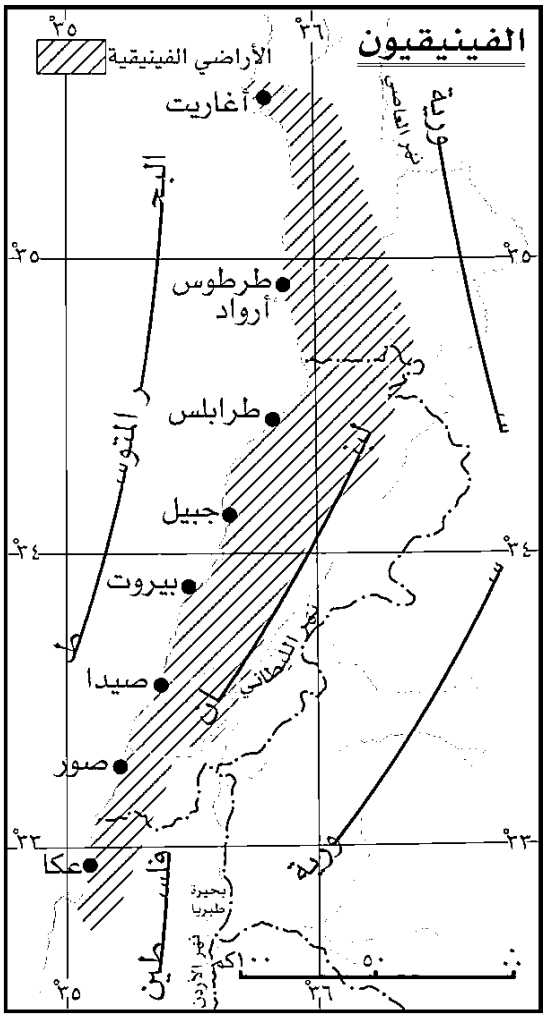

الشكل 31: دُول المدن الفينيقية

(أنظر : http://arab-ency.com.sy/detail/8926)

3 . محطات تاريخية :

لا يُمكن التفصيل في حيثيات التاريخ الفينيقي لأسباب عدّة ، لعلّ من أبرزها تعدّد دول المدن الفينيقية واستقلالها عن بعضها البعض ، برغم انتمائها لهذا الكيان الفينيقي المتطابق في أحداثه السياسية و العسكرية، إضافة الى تعرُّض المنطقة الى كثير من عمليات التدمير و الغزو الأجنبي و الهيمنة خلال حقب متفاوتة أدّت الى انقطاع خبر كثير من المراحل و المحطات التاريخية ، غير أنّه يُمكن استعراض بعض الملامح . لمحدودية هذه المطبوعة . كالآتي:

وعن بدايات التاريخ الفينيقي : تركت لنا المخلفات الأثرية المصرية القديمة منذ عهد الدولة القديمة ما يشير الى تجارة خشب الأرز . على الأقل منذ القرن 26 ق.م . مع "جُبيل" الفينيقية ، و ثبت كذلك إقامة الفينيقيين لعلاقات تجارية منذ القرن 19 ق.م مع ساكنة بحر إيجة و بخاصة الكريتيون في "كونسوس" ، ودلّت مراسلات "تل العمارنة " الفرعونية (عهد أمنحوتب الثالث و الرابع منتصف القرن 15 ق. م) على تفوّق المدن الفينيقية في ميدان التجارة الدولية . كما أشارت الحوليات الأشورية و الوثائق الحثية الى حملات موسمية عسكرية كانت تستهدف فينيقيا منذ القرن 13 ق.م .

واستطاع الفينيقيون ابتكار الخط الفينيقي في أوغاريت بتأثيرات رافيدينية – مصرية القديمة و ظهرت معالمه التصويرية على الأقل منذ القرن 16 ق. م ، غير أنّه تطور الى كتابة رمزية (في شكل حروف) حوالي 1250 ق.م .

- ✓ . كانت كل واحدة من هذه المدن تتمتع بالاستقلال، مع محاولة كل منها فرض سيطرتها على جيرانها، مع خضوعها كلها بين الحين والآخر لجيرانها الأقوياء (آشوريين ومصريين) فبسبب الغنى الكبير الذي كانت تتمتع به المدن الفينيقية، والانقسام الذي كانت تعانيه، فإنها كانت محط أطماع الدول المحيطة بها، وبما أن أقرب الدول إلى الساحل الفينيقي وأقواها كانت مصر، فإن الفينيقيين خضعوا منذ الألف الثالثة ق.م للنفوذ المصري، سواء أكان هذا النفوذ مباشراً أم غير مباشر. وقد ضعف النفوذ المصري في أثناء حكم الهكسوس لمصر، وسرعان ما عاد بقوة أكبر بعد أن تحررت مصر من هذا الحكم وسعت نحو إقامة إمبراطوريتها الأولى.
- ✓ . أثر هجوم شعوب البحر (قرب نهاية الألف الثاني ق.م) على الفينيقيين بصورة متفاوتة، فبعض مدنهم مثل "صيدا" تعرضت لدمار شديد وبعضها الآخر كان نصيبه أقل، ولذلك تمكنت هذه المدن من النهوض والعودة إلى ممارسة نشاطاتها السابقة بسرعة مثل "جبيل" و"صور .
- ✓ . بدأت هجمات الاشوريين مع "تاجلات بلاصر الثالث" (727.745ق.م) وخضعت فينيقيا لهم عهد الملك "آشور ناصر بال الثاني" (859.884 ق.م) والملوك اللاحقين له، حتى أن الدولة الأشورية كانت تُعيّن

حاكماً آشورياً إلى جانب الحاكم الفينيقي كأداة رقابة . وظلت فينيقيا تابعة للامبراطورية الأشورية عهد سرجون الثاني" (722-705 ق.م) و عهد "سنحاريب " (705 -681 ق.م) .[11]

✓ . بعد انهيار الامبراطورية الآشورية استقلت المدن الفينيقية ، لكنها خضعت لسيطرة الكلدانيين ملوك "بابل" الجدد بقيادة " نبوخذ نصر الثاني" حوالي570 ق.م .

✓ . عندما سقطت "بابل، بيد الفرس الميديين عام 539 ق.م ورث الفرس الميديون ممتلكات الكلدانيين ومنها أنهم سيطروا على فينيقيا ، وكانت أساطيل المدن الفينيقية أساس الأسطول الفارسي الذي هاجم بلاد اليونان خلال ما عرف بالحروب الميدية .

✓ . أعقب ذلك حملات جيوش الإسكندر المقدوني نحو الشرق الأدنى، وهنا رحبت به كل المدن الفينيقية الراغبة في التخلص من السيادة الفارسية، ولم تقاومه إلا مدينة "صور" التي سقطت بيده بعد حصار دام سبعة أشهر عام 332 ق.م .

و يُمكن وضع كرونولوجيا لأهم محطات التاريخ الفينيقي وفق الجدول الموالي:

معالم زمنية / قبل الميلاد	محطات تاريخية
2900-3000	أولى المنازل الحضرية في "جبيل" .
2900	إرسال الملك "سنفرو" (آخر ملوك الأسرة الثالثة) حملة بحرية لجل خسب الأرز من جبال لبنان تحت اشراف "جبيل"
2750	تأسيس مدينة صور ومعبد "ملقارت "
2000-2100	غزو البدو العموريين – الساميين لمدينة "جبيل" القادمين من الصحراء السورية
القرنين 19 و 18	تزايد تعاملات الأوغاريتيين و هيمنتهم على قبرص و جزر بحر ايجة ، وبداية الإرتياد الفينيقي الباكر في غرب المتوسط
1250	ترسيخ الخط الأبجدي الفينيقي في "جبيل" من 22 رمزا كتابياً
القرنين 12 و 11	تراجع الكريتيين بعد تدمير كونسوس بسبب الغزو الدوري في بلاد اليونان ، و معه زوال المنافسة اليونانية ، وبداية انفراد الفينيقيين بالمتوسط ، مع تزايد مكانة "صيدا" .
نهاية القرن 12	انطلاق تأسيس المستوطنات الفينيقية في غرب المتوسط ومنها "أتيكا" و "قادش" و "ليكسوس" ..
القرن العاشر	حسب التوراة ، تعاملات ملك الصوريين "أحيرام" مع الملك و النبي "سليمان" . عليه السلام .
814	تأسيس قرطاج
القرن 8 الى القرن 7	حملات الاشوريين و سيطرتهم على فينيقيا منذ عهد "تجلالت بلاصر الثاني" حتى ملوك العائلة السرجونية .
حوالي 570	غزو "نبوخذ نصر الثاني" للمدن الفينيقية و خضوعها له
بعد 539	خضوع المدن الفينيقية لسيطرة الفرس الميديين
332	غزو الإسكندر للشرق الأدنى القديم و إخضاعه للفينيقيين

[11] ـ محمد أبو المحاسن عصفور ، المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص29.